

المحاضرة الثانية:

نظرة تاريخية عن حركة الترجمة عند العرب



عرف العرب الترجمة منذ أقدم عصورهم، وكان لهم تاريخ حافل ومزدهر فيها شكل العرب نواته وكانوا الأوائل في كتابته والسباقين للنهوض به، حيث عملوا على وضع الدعائم الأولى التي عيبت الطريق لكي يسير ركب الترجمة نحو النهضة وكتابة العصور الذهبية لها. ولكن هذه النهضة لم تأت من فراغ، بل تهيأت لها سبل مادية وبشرية وثقافية شكلت دافعا قويا لقيام حركة ترجمة عربية إسلامية رائدة ومزدهرة امتد تأثيرها إلى العالم الغربي.

## 1- الترجمة في العصر الجاهلي:

أشار الدكتور عبد السلام كفايي في كتابه "في الأدب المقارن" إلى أن العرب كانوا "يرتحلون للتجارة صيفاً وشتاءً ويتأثرون بجيرانهم في مختلف نواحي الحياة، لقد عرفوا بلاد الفرس، وانتقلت إليهم ألوان من ثقافتهم... وانتقلت بعض الألفاظ الفارسية إلى اللغة العربية". والثابت أن العرب قد احتكوا منذ جاهليتهم بالشعوب المحيطة بهم، ومن الصعب قيام مثل هذه الصلات الأدبية والاقتصادية دون وجود ترجمة، وإن كانت في مراحلها البدائية. لم ينزل العرب عن المعارف ولا عن أصحابها، فحياتهم كانت قائمة على الترحال قد دفعتهم ضرورة إلى الاحتكاك بتلك الأمم المجاورة لهم شرقا وغربا وشمالا، وقد دون لنا الشعر الجاهلي وبعض المصادر الأخرى رحلات العرب للتجارة بمصر والهند والشام والعراق وبلاد الروم والحبشة وفارس. كانت التجارة عاملا هاما من عوامل الاحتكاك والأخذ ونشر الأفكار والمعتقدات والمعارف. وقد أثبت التاريخ والاكتشافات الأثرية نشأة مدن عربية متاخمة لبلاد الفرس والروم كانت على اتصال بمحاضرتيهما، وأثبت كذلك اطلاع الحيرة على العلوم اليونانية والفارسية، ودور هذه المدن في كونها حلقة اتصال بين العرب والعجم واتصال الغساسنة باليونان واتصال المناذرة بالفرس. (علي تابلت، 1996، ص 5)

## 2- الترجمة في صدر الإسلام:

لا جرم أن البدايات الأولى للترجمة تعود إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، إذ من المعروف أنه (ص) طلب من بعض أصحابه تعلم اللغة غير العربية وهذا مؤرخ بحديث في

صحيح البخاري، وأذكر هنا حالة لـ"زيد بن ثابت" شاعر الرسول (ص) الذي تعلم اللغة اليهودية وساعد الرسول (ص) في مخاطبة اليهود وترجمة أقوالهم لأنه كان لا يأمنهم على كتابه، وقد كان ترجمانه بـ"الفارسية" و"القبطية" و"الحبشية" أيضا ويقي هذا المثال دليلا دامغا على وجود مظاهر للترجمة في عصر "النبوة"، وإن انحصر في الجانب "الإداري" الدبلوماسي" إلا أنه يمكن القول بأن الترجمة مثلت دائما قناة وضرورة من أجل التفاهم والتواصل.

قال سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: "خذوا الحكمة ولو من أسنة المشركين"، وقال أيضا: "الحكمة ضالة المؤمن يأخذها ممن سمعها ولا يبالي من أي وعاء خرجت". كما حدّر أولئك الذين أخذوا العلوم من الفرس والروم وكانوا يتكتمون خشية اتهامهم بالشرك والزندقة، في قوله: "من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار".

ومن المؤكد أن كانت تصل للرسول وثائق عبرانية وسريانية وغيرها كان في حاجة إلى ترجمتها إلى العربية، ولعل أول النقلة الرسميين ظهوروا معه، إذ عرف الخزرجي بأعمال الترجمة للرسول من الفارسية والرومية والقبطية والحبشية وتحرير رسائل بهذه اللغات الأجنبية للرد، وقد تعلم هذه اللغات بالمدينة من أهل هذه الألسن المستوطنين. كما أن رواج اللغة الأرابية دعا الرسول إلى أن يطلب من زيد بن ثابت تعلمها، واستجاب لطلب الرسول في سبعة عشر يوما. ومنه، بدأ الاهتمام بهذه اللغة وبما كانت تحمله من علوم. (علي تابليت، 1996، ص 16-17)

ظهرت بوادر الترجمة في الفترة الإسلامية بداية بعصر عمر بن الخطاب الخليفة الثاني رغم محدوديتها، حيث حظر الترجمة في المستوى المعرفي والفكري التجريدي وأباح الترجمة في المستوى العملي، على مبدأ اجتهادي، أن القرآن والسنة هما أصلان جاهزان لا بديل لهما في تأسيس الأفكار والمواقف عند المسلمين. لذلك كان سبب المنظور من الترجمة أو أوجه التلاقح بين العرب والفرس أو الروم أو اليونان أو اليهود عقدياً محضاً. أما العامل الأساسي الذي أباح الترجمة فيما بعد هو الحاجة الجديدة للدولة الإسلامية للاضطلاع بوظيفتها كما تفرضه هذه الحاجة، وسط تلاقح حضاري مفروض مقابل جهاز حكومي متطور عند فارس أو عند الروم، فتوسعت الترجمة فيما يتعلق بالإدارة ومتطلباتها حتى جاء دور الخلفاء (أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد) اللذان بالتتابع فتحا باب التعامل مع سكان البلاد التي أسلمت أو أناس احتفظوا بدينهم. فأصبحت الجزيرة ثم الشام والعراق موطن الاحتكاك

والتوالد الفكري، واحتفظت العواصم العربية بتقاليد معرفية موروثية ومختلفة من سريانية وهندية ويونانية وفارسية وحبشية وقبطية الخ... فأصبحت الترجمة حقيقة حضارية وواقعية، فقد بدأت فردية ثم أصبحت رسمية انطلاقاً من عهد خالد بن معاوية الأموي، ثم مزدهرة وموسعة في عهد المأمون. (سالم العيس، 1999، ص 21)

## 1-2- الترجمة في العهد الأموي :

لم يغفل الأمويون عن الاهتمام بالترجمة رغم انشغالهم بالفتوحات وبتوطيد أركان الدولة. ومع ذلك فقد خُطت الترجمة خلال حكمهم الخطوات الأولى، وانصرفت إلى الطب والفلك والكيمياء وفن العمارة للحاجة إليها في تلبية مستلزمات الحروب والفتوحات الوافدة التي تتطلبها الفتوحات والسكان في البلاد الجديدة. وكان الأمير الأموي- خالد بن يزيد بن معاوية من دعا إلى ترجمة هذه الكتب بعدما أخفق في نيل الخلافة فانصرف إلى العلم والاهتمام بالترجمة، وفي ذلك يقول ابن النديم: (وكان خالداً يُسمى حكيم آل مروان وكان رجلاً فاضلاً وله ميل ونشاط نحو العلوم. ولتحقيق هذه الرغبة أمر جماعة من فلاسفة اليونان الذين كانوا يقيمون في مصر ويجيدون العربية بترجمة العديد

من الكتب من اللغة اليونانية والقبطية إلى العربية، وكان هذا أول ترجمة في الإسلام من لغة إلى لغة. كانت الكتب التي ترجمت لخالد بن يزيد المذكور تتعلق غالبيتها بالكيمياء، ويُروى أن أول كتاب ترجم من اليونانية إلى العربية كان كتاب "أحكام النجوم" المنسوب إلى الحكيم "هرمس". كما نُقل في زمن مروان بن الحكم - 65-64 أول كتاب طبي من السريانية إلى العربية.

استمر النقل والترجمة في زمن الخلفاء الأمويين ولكن بالقدر القليل، ويذكر أحمد أمين أن من أشهر المترجمين في العصر الأموي كان -يعقوب الرهاوي الذي ترجم الكثير من كتب الإلهيات اليونانية إلى العربية. أما كتب الدواوين في زمن الدولة الأموية قد نقلت من اليونانية إلى العربية، أيام الخليفة عبد الملك بن مروان، في سورية. وفي العراق من الفارسية إلى العربية على يد الحجاج.

أما الكتب القبطية في مصر فقد تُرجمت إلى العربية على يد عبد العزيز بن عبد الملك والي مصر حينذاك، وقد كان لهذه الترجمة والدواوين أثر كبير في دعم أسس الدولة العربية

وأصبحت أيضاً اللغة العربية لغة الإدارة الرسمية في أرجاء البلاد. وقد روى ابن النديم أنه في زمن بني أمية نُقل الديوان في العراق من الفارسية إلى العربية بأمر من الحجاج على يد المترجم صالح بن عبد الرحمن. وفي عهد عبد الملك نقل الديوان في الشام من الرومية إلى العربية عن يد أبو ثابت سليمان بن سعد. (سالم العيس، المرجع نفسه، ص 16-17)

## 2-2- الترجمة في العهد العباسي :

بعد أن حل العباسيون عام 749 محل الأمويين، تركوا دمشق (عاصمة الإمبراطورية) كي يؤسسوا بغداد عام 762 في خلافة أبي جعفر المنصور. وقد أدى توسيع الإمبراطورية منذ فتح سورية على الخلفاء الأولين، وفتح بلاد بين النهرين عام 637 ثم مصر وليبيا عام 640 إلى دخول عناصر أجنبية متزايدة جعلت من بغداد، مقر السلطة المركزية، محورا تتلاقى فيه الثقافات المختلفة. وكانت البلاد المفتوحة قد شهدت حضارات قديمة، مما جعل الثقافة العربية تغترف من كل المعطيات الآتية من بلاد فارس والهند وسورية ومصر... وعرفت الحضارة العربية بفضل هذا التمازج الفكري عصرا ذهبيا في القرن التاسع للميلاد، خاصة في عصر الخليفة المنصور بين عامي 413-433. ولقد تمّ هذا التمازج من حركة هامة للترجمة. (مريم سلامة كار، 1998، ص 10)

ازدهرت الترجمة في العهد العباسي ازدهاراً عظيماً، حيث كان العرب قبل العهد العباسي منشغلين بالفتوحات وبتوطيد دعائم الحكم، وما إن استقرت الأمور حتى جدّوا وراء العلم لبناء ونشر الحضارة العربية والإسلامية على المستوى الذي يتمشى مع اتساع البلدان المفتوحة ودائرة الخلافة. وهنا لا بد من التوجه إلى تنشيط النقل والترجمة بالإضافة إلى العلوم الأخرى. انطلق المسلمون في العصر العباسي سعياً وراء العلم اعتباراً من ولاية الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي كان بارعاً في الفقه متقدماً في علم الفلسفة والفلك وبما يتصل بمعرفة أحوال النجوم، ومشجعاً للعلم والعلماء ولا ينكر فضل سابقه - خالد بن يزيد بن معاوية الذي كان يلقب بحكيم آل مروان.

كما لقيت حركة الترجمة في هذا العصر التشجيع المناسب من الخلفاء والوزراء وخاصة في عهد الرشيد والمأمون، كما جرت الترجمة عن لغات عديدة تولاها لبنانيون ومصريون وسوريون ومسلمون أو غير مسلمين ممن كانوا يتقنون لغة أجنبية إلى جانب العربية. وكانت الترجمات ركيكة خضعت لمدة غير قصيرة لكثير من التصحيح والتدقيق والمراجعة

غير أن ما لفت أنظار الخبراء الأجانب هو سرعة استيعاب الفلاسفة والعلماء العرب وحتى الأفراد المثقفين منهم جميع المعارف المترجمة، فقد تمكنوا من تصحيح ما فيها من أخطاء عن طريق العقل السليم والمدارك الواسعة والتجربة العملية. (سالم العيس، المرجع السابق، ص 20)

انقسم عهد الترجمة في العهد العباسي إلى مرحلتين رئيسيتين:

### المرحلة العباسية الأولى:

#### عهد أبو جعفر المنصور:

كان للخليفة أبو جعفر المنصور شغف بالطب والهندسة والفلك والنجوم. وهو أول من راسل ملك الروم طالباً منه كتب - الحكمة - فبعث إليه كتاب أقليدس وبعض الكتب الأخرى، فجمع حوله صفوة من العلماء الذين يتقنون اللغات الأجنبية، وشجعهم على ترجمة الكتب العلمية المنتقاة، وفي سبيل ذلك أشاد ديواناً للترجمة. (سالم العيس، المرجع نفسه، ص 20) وقد مال الخليفة المنصور إلى التنجيم منذ توليه الحكم معتمداً على المنجمين الفرس، ولم تكن الفلسفة شغله الشاغل. (علي تابليت، المرجع السابق، ص 21)

#### عهد هارون الرشيد:

اهتم الخليفة هارون الرشيد بترجمة الكتب الأجنبية، ووسع ديوان الترجمة الذي أنشأه المنصور لنقل العلوم خاصة التنجيم مستندا إلى مجهودات المنجمين الفرس كالتطري والفزاري وغيرهم. وبعد احتلال عمورية طلب هارون الرشيد من البيزنطيين تسليمه المخطوطات اليونانية القديمة. ومن أشهر الكتب التي ترجمت في عهد الرشيد كان كتاب المجسطي لبطليموس الذي معناه "الترتيب الكبير في علم الفلك". كما أمر الرشيد بتعريب الكتب التي وجدها في أنقرة وعمورية أثناء غزواته (الصوائف) وعهد بها إلى يوحنا بن ماسويه باعتباره كبير المترجمين في عصره. وكان يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب سريانياً عينه الرشيد أميناً على الترجمة وعهد إليه ترجمة الكتب القديمة مما عثر عليها في بلاد الروم حين سبأها المسلمون.

وما يلاحظ في زمن الرشيد دخول العنصر الهندي الذي هباً له الفرس، فأصبح النقل من اللغة السنسكريتية مباشرة بعد أن كانت تتم عن الفارسية وزاحم كنيكة الهندي ابن نوبخت في خدمة الرشيد وقام بترجمات إلى العربية. ولم يقتصر التأثير الهندي المباشر في العرب على التنجيم والفلك فحسب، بل انضاف إليه الطب والحساب والموسيقى وغيرها من العلوم،

وأظهر البرامكة ميلاً خاصاً للأطباء الهنود. وقد أنشئت في عهد الرشيد (دار الحكمة). (أو بيت الحكمة أو خزانة الحكمة) كتويج لكل المجهودات التي عرفت فترته. ومن المترجمين الذين خدموا الرشيد وابنه من بعده الحجاج بن يوسف بن مطر الذي نقل كتاب - إقليدس (أصول الهندسة) على مرتين، المرة الأولى في زمن الرشيد وقد عرف بالنقل الهاروني، والمرة الثانية في زمن المأمون وعرف بالنقل المأموني، وكان عليه المعول لأنه الأصح. (سالم العيس، المرجع السابق، ص 20)

### المرحلة العباسية الثانية:

#### عهد المأمون:

كان الخليفة عبد الله المأمون قد لبث في سدة الحكم عشرين سنة (٢١٨-١٩٨هـ) وكان رجلاً ذا أفق واسع مستنير حرّ التفكير - محباً للعلم والحكمة، شغوفاً بالدرس والتدقيق والبحث والمناظرة، حيث كان يجمع العلماء ورجال الفكر المستنيرين ليتناظروا أمامه باشتراكهم معهم. وقيل أن أحد شروط الصلح بين المأمون والإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث أن يتنازل هذا للمأمون عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية وكان من بين ذخائرها كتاب بطليموس في الفلك، فأمر المأمون بنقله فوراً إلى العربية.

ويقال أن المأمون من أنشأ في بغداد - بيت الحكمة - الذي كان يجوي الجمع العلمي ومرصد فلكي ومكتبة عامة أقام فيها طائفة من المترجمين الذين أغدق عليهم الأرزاق من بيت المال. وكذلك أرسل المأمون البعثات إلى بلاد الروم للحصول على الكتب، وحسب قول صاحب الفهرست: أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات عديدة وقد كتب إليه حول إرسال من يختار من العلوم القديمة وغيرها المخزونة لديه، فأجابه ملك الروم بعد تردد، فأرسل المأمون لذلك جماعة، منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلمان صاحب بيت الحكمة فأخذوا مما وجدوا وما اختاروه، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل.

وعلى ما يبدو أن المأمون أرسل أكثر من بعثة إلى القسطنطينية وبلاد الروم للحصول على كتب بحاجة إليها حيث يستفاد من أخبار حنين بن اسحق أيضاً أن المأمون قد أرسله للبحث عن الكتب النادرة في بلاد الروم.

إن ما يميز حركة الترجمة في عصر المأمون أن هذا الخليفة أحسن تنظيمها وجعلها مرجعاً ومنشطاً رسميين في الدولة، وأنفق من أجلها الأموال الطائلة. وقد ساهم في هذا النشاط

حنين بن اسحق الذي نال ثقة وإعجاب المأمون وجعله يعطيه من الذهب، كما يروي، زنة ما ينقله ويترجمه من هذه الكتب إلى العربية مثلاً بمثل. (سالم العيس، المرجع نفسه، ص 23)

توسع التعريب أيام المأمون ليُصبح أكثر إتقاناً وتنظيماً وتنوعاً في الأغراض بفضل ما تميّز به حكم المأمون الذي ربط علاقات مع ملوك الروم ومدّمهم الهدايا مقابل حصوله على المؤلفات القديمة. حيث أمر جماعة من أهل العلم والمعرفة بالترحال وانتقاء الصالح منها وجلبها كابن البطريق والحجاج بن مطر ويوحنا بن ماسويه وسلم. وهكذا جلبوا الكثير من الكتب في جل العلوم وخاصة الفلسفية منها واشتهروا بنقلها وتوافد النقلة على بغداد من بلاد الروم والشام والعراق والجزيرة. وانتشرت مهنة المترجم بالعراق كما كثر النساخ والورّاقون والمصحّحون والمجلدون أعانهم على ذلك توفر الورق. فأصبحت دكاكين الورّاقين والكتاب ببغداد مصدر إشعاع ثقافي راق. ... وهكذا كانت بيت الحكمة دائرة رسمية لخدمة الحاجيات السياسية والمذهبية ثم العلمية، وانتظمت مهنة المترجم وأصبح المترجمون بعد أن كان جلهم يعمل على انفراد يشتركون في بعض الترجمات، وتحصل بعض المترجمين على وظائف رسمية ونالوا الجاه والمال، وتنوعت طرق الترجمة في هذه المراحل حسب حنكة المترجمين للغايات والعلوم أو حسب الحاجيات وأغراض الموضوع المنقول وحققت قدراً كبيراً من الدقة والإحكام. واكتسبت اللغة العربية باستعمال هؤلاء الأجانب لها الكثير فغدّاها كل عنصر من اللغة التي ينتمي إليها ونقلوا لها الأفكار والمصطلحات وأتاحوا للعرب أن ينعثقوا من محدودية الموضوع فانتقلت هذه اللغة بعد أن انحصرت في الدين والأدب والخطابة إلى لغة العلوم النظرية والتطبيقية. (علي تابلت، المرجع السابق، ص 23)

وقد رتب بيت الحكمة على مثال مكتبة الاسكندرية الشهيرة من حيث الوسائل وطرق العمل والغاية والهدف، وقد استمر هذا البيت في العمل بعد المأمون، وإن كان قد فقد الكثير من نشاطه حتى زمن ابن النديم صاحب الفهرست في منتصف القرن الرابع للهجرة، علماً بأن ابن النديم ألف كتابه الفهرست عام ٣٧٧هـ وهذا يدل على أن عمل هذا البيت استمر طوال عهد العباسيين، غير أن هولاكو دمره سنة ٦٥٦هـ عند احتلاله لبغداد. وقد اقتدى بالمأمون في ذلك العهد وبعده كثيرون من رجال الدولة وأهلها الميسورون فازدهر سوق الترجمة وتوافد على بلاد العباسيين من كل حدب وصوب، من أنحاء الجزيرة



والعراق وبلاد الشام وفارس وفيهم من السريان والصابئة والنساطرة واليعاقبة والروم يترجمون الكتب من اليونانية والسريانية والفهلوية والسنسكريتية والنبطية إلى العربية. (سالم العيس، المرجع السابق، ص 24)

### 3 - حركة الترجمة في الأندلس:

حل العرب بشبه الجزيرة الإيبيرية سنة 711 م واستقروا بها زهاء 7 قرون، وخلال هذه الفترة تقلبت أحوال وأوضاع الأندلس فكانت آخرها فترة حكم "ملوك الطوائف". لا يمكن نسيان الأندلس التي كانت موطناً للنقل والترجمة العلمية أو الثقافية إلى العربية بعد بغداد قبل أن تصبح موطن الكشف والإبداع في ميادين الآداب والعلوم والفنون. فقد رعى حكام الأندلس حركة الترجمة وشجعوا عليها وعملوا على اقتناء الكتب ونقلها إلى العربية. يحدثنا ابن أبي أصيبعة في حديثه عن ابن جلجل، أن أرميانوس ملك القسطنطينية ( 348-293هـ، 909-905م) عندما أراد أن يرسل هدية إلى الناصر عبد الرحمن بن محمد في قرطبة جعل من ضمن هديته- كتاب أديسقوريدس الذي يحتوي على وصف العقاقير النباتية باللغة الإغريقية فقدر الناصر هذه الهدية حق قدرها. ولما لم يكن في دولته من يحسن ترجمة هذا الكتاب من اليونانية القديمة إلى العربية، فقط طلب من أرميانوس الإمبراطور نفسه أن يبعث إليه بمن ينقلها، فأرسل هذا الأخير إليه الراهب نقولا الذي وصل قرطبة عام 340هـ وقام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية ولاسيما ما فيه من أسماء العقاقير. (سالم العيس، المرجع نفسه، ص 25)

عرفت بلاد الأندلس نشأة مدرسة "طليطلة" للترجمة في القرن 12م، وقد ضمت ثلثة من المترجمين الأوروبيين المتميزين جعلت منها أول مدرسة حقيقية للترجمة. ورغم التدهور والانحطاط السياسي الذي عرفته الأندلس، ظل الإشعاع الأدبي والفكري للمجتمع الأندلسي مستنيراً ومشعاً لأن اهتمام الأمراء والملوك بالعلماء والمفكرين ظل قائماً وذلك بتهيؤ الظروف الملائمة للبحث وبذل جزيل ووافر العطاء لهم وكذا حيازة المخطوطات منهم.

وبعد رحيل العرب، أصبح المجتمع الأندلسي يتكون من اليهود والمستعربين وهم الساكنة التي تعربت إلى حد ما ولكنها بقيت على دينها المسيحي، وقد نتج عن هذا التعدد والتنوع السكاني تعدد لغوي أيضاً. ومن بين العوامل الرئيسة والمؤثرة في حركة الترجمة بالأندلس

هناك سلطة الكنيسة ومؤسساتها والتي مثلها البابا والقساوس وتليها سلطة الدولة وتمثل في السلطة الإمبراطورية. وقد انقسم جمهور المترجمين خلال القرن 12م إلى مجموعتين المجموعة الأولى وتضم المترجمين "اللاتينيين" وقد حملوا هذا الإسم لأن لغة الوصول لديهم كانت اللاتينية وهي لغة الكنيسة بامتياز آنذاك، وأغلبهم من علماء اليهود الذين كانوا يجيدون اللغة العربية والفلسفة والعلوم الإنسانية الأخرى. وقد كان من مميزات هذه الطبقة اللاتينية أن غالبية هؤلاء المترجمين الذين شاركوا في هذه الحركة لا ينتمون إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، بل قدموا إليها من أراضى أجنبية وخاصة من إيطاليا والجزر البريطانية كما أن أغلبيتهم كانوا ينتمون إلى الكنيسة وهم نخبة مثقفة قادرة على الكتابة والقراءة وتُتقن لغتين أو أكثر.

ثم هناك مجموعة ثانية تضم المترجمين "الألفونسيين" وقد سموا كذلك لارتباطهم بـ"ألفونسو العاشر" وتخلل عهده مشروع ترجمي ضخم قام بالسهر عليه ومتابعته وتمويله شخصياً خلال القرن 13. ورغم غياب المعاجم المزدوجة والقواميس المختصة إلا أن مترجمي ذلك العهد كانوا يلجأون من أجل سد هذا الفراغ إلى التكاثر والتكامل من خلال الاعتماد على العمل الجماعي المثمر بين أصحاب جميع التخصصات فكانت النتائج مبهرة وإيجابية إلى حد كبير، وقد تجلّى ذلك في الترجمات المنجزة والتي كانت على قدر كبير من الأمانة العلمية والجودة الترجمة. (سالم العيس، المرجع نفسه، ص 25)

#### **4- الترجمة في العصر الحديث:**

يمتد تاريخ الترجمة في العصر الحديث من الحملة الفرنسية بمصر إلى تاريخ نزول المستعمر بها وبالبلاد العربية.

#### **1.4- الحملة الفرنسية (1798-1801) وحركة الترجمة:**

كان لهذه الحملة أثر بارز في الترجمة، لأنها كانت بأشد الحاجة إلى مترجمين دائمين لتلقي الأوامر ونقلها إلى المراجع المختصة، ولترجمة المنشورات وتسجيل المحاضر في الدواوين، هذا من جهة، وللترجمة المباشرة في نقل الحديث بين الحكام والمحكومين من جهة أخرى، وفي بادئ الأمر استقدمت الحملة أناساً غرباء عن مصر أحضرتهم معها حين قدومها من البحارة المسلمين الذين كانوا في جزيرة مالطة. (سالم العيس، المرجع نفسه، ص 27)

لم تُعمر الحملة الفرنسية بمصر أكثر من ثلاث سنوات، ورغم الفترة القصيرة إلا أنها تركت فيها الأثر المشهود، إذ اصطحبت الحملة مطبعة مجهزة بالحروف العربية ومخابر معدة للبحث

والتدقيق. وكانت الحملة تضم عدة اختصاصات في شتى فروع العلوم الحديثة كالكيمياء والفيزياء وعلم الآثار على وجه الخصوص. وجهز نابليون مطبعة تعمل بالحروف العربية والفرنسية واليونانية كانت تُسمى "مطبعة جيش الشرق" أو "مطبعة الجيش البحري" ثم تغير اسمها ليصبح "المطبعة الأهلية" غير أن الكاثوليك بروما سبقوا نابليون في تجهيز مطبعة بالحروف العربية للاتصال بالكنائس الشرقية. و من أهم الأعمال التي قامت بها الحملة إقامة "المجمع العلمي المصري" والمدرسة العليا في مصر، وكان ذلك بأمر من نابليون في 22 أوت 1798.

أما أهداف المدرسة فقد وردت في كتاب جمال الدين الشّيال : "تاريخ الترجمة في عهد الحملة الفرنسية" دار الفكر العربي، 1950 ص 66، وتمثل في ما يلي:

- 1- تطور العلوم والمعارف في مصر.
- 2- دراسة المسائل والأبحاث الطبيعية والصناعية والتاريخية الخاصة بمصر ونشر هذه الأبحاث.

كما كان في المدرسة لجان للترجمة ولجان للطباعة وبها مكتبة هامة. ويمكن اعتبار هذه المدرسة كأول نظام حديث للبحث والترجمة في المشرق العربي، وبهذه الطريقة ستقام مدارس حربية ومدارس فنية فيما بعد. ورغم مساعي الحملة وقيام المدرسة العليا، فإن الحملة لم تترك من الأعمال المترجمة إلا أربعة عناوين. وقد نظّم نابليون حملته بإعداد المترجمين المرافقين للحملة في ماي 1798، وكوّن لجنة العلوم والفنون حتى يتسنى له دراسة الآثار المصرية والتاريخ والجغرافية والحالة الطبيعية لمصر. وكان من بين المترجمين علماء مستشرقون أطلق على بعضهم اسم "مترجمي الجيش لحملة مصر". (علي تابلت، المرجع السابق، ص 31)

#### 2.4- حركة الترجمة في مصر والشام وتونس بعد حملة نابليون على مصر:

بعد حالة الركود العلمي والمعرفي، بزغت في الأفق العربي ومضات من نور في مطلع القرن 19 الماضي. فقد تحقق للعرب في كافة أمصارهم أن العلم هو مصدر القوة، وأن أوروبا بعد ضعفها بالأمس، قد امتلكت الآن القوة المادية والصناعية والعسكرية بفضل تقدم العلوم فيها، وليس ممارستها للاستعمار والسيطرة والغزو، مستغلةً ضعف الشعوب والدول في القارتين الآسيوية والأفريقية، وبسط سلطاتها على هذه الشعوب والدول بحجة تدريبهم

وتثقيفهم وتنمية وعيهم للوصول إلى الاستقلال التام، ليس ذلك إلا لاستثمار مواردها الطبيعية واستغلال قواها البشرية، وجعلها سوقاً لمنتجاتها المصنعة، وانتشاراً لنفوذها السياسي وللسيطرة الكاملة. وللحفاظ على السيادة القومية والكرامة الوطنية، ولصون الذات الشخصية والهوية الثقافية، استقرّ في أذهان الطلائع العربية الطامحة إلى الحرية والاستقلال، ضرورة استئناف ما انقطع من تاريخها والتسرّيل بما يجب من أسباب المنعة والقوة لمعاودة السير في طريق التقدم العلمي، بنشر التعليم وإقامة الصناعات المختلفة لبناء إنسان عربي جديد بعد طول الاستعمار والتعتيم. ولتبني وإبراز فائدة الترجمة نأتي بالإيضاح التالي: يقول علماء النبات أن النبات إذا طعم ولقح بنبات غيره، أنتج ثمراً أحلى من النباتين الأولين، فالنجاح إذا طعم بالكمثرى جاء بفاكهة جديدة أطيب مذاقاً، ويقول علماء التاريخ والاجتماع والحضارة أن الشعب أو المجتمع أو الدولة التي تعيش وحدها، وتنطوي على نفسها ولا يصيبها أي تطعيم أو تلقيح من حضارة أخرى، يكون مصيرها الضعف والانحلال. وهكذا نجد توالي الحضارات القديمة التي كانت دائماً على اتصال ببعضها. فإذا ضعفت الحضارة القديمة قامت الحضارة اللاحقة، ولهذا لا نجد الحضارة في القديم وقفاً على شعب واحد دون غيره. بل تُشبه الحضارة دوماً الوديعة يتناولها الشعب القوى ليحميها وينمّيها ويزيد فيها. وعند ضعفه وانحطاطه أو كلاله تتحول إلى الشعب الناهض حديثاً الذي تكمن فيه عناصر التجدد والقوة والإبداع، وهكذا دواليك. إن طرق تطعيم الحضارات بين بعضها والبعض الآخر كثيرة ومختلفة، وأن اختلافها بحسب الزمن والعصر فقد يكون الاتصال بين الحضارات عن طريق، الرحلات أو الهجرة أو الحروب أحياناً، التجارة أو الزواج أيضاً، وغير ذلك من الطرق الحديثة. ولكن نقل العلوم من حضارة إلى أخرى وترجمتها من لغة إلى لغة كانت ولا تزال هي الوسيلة المشتركة والناجحة. (سالم العيس، المرجع السابق، ص 31-32)

#### **1.2.4- في مصر:**

كان حركة الترجمة بعد الحملة أثر كبير في النهضة العصرية في الشرق والمغرب العربيين خاصة في عهدي محمد علي وخير الدين في تونس. وقد حظيت الترجمة في مصر، خلال المرحلة الأولى من النهضة الحديثة، باهتمام كبير. فانطلقت في بادئ الأمر، على يد جماعة من السوريين والبنانيين الذي بذلوا جهوداً عظيمة للتغلب على الصعوبات الناشئة من افتقار اللغة إلى المصطلحات والمدلولات الحضارية، واختلاف التراكيب بين العربية

واللغات الأوروبية، بالإضافة إلى جهل المترجمين للعلوم التي ينقلونها، فلما عاد أعضاء البعثات المصرية من الخارج كان عملهم أسهل من عمل أسلافهم. يمكن أن نعتبر عام ٧٩٧م، ١٨١١هـ السنة الأولى التي قضى خلالها محمد علي على المماليك، حيث انطلق منها لتنفيذ السياسة الإصلاحية التي تبناها محمد علي. وفي نهايتها أنشأ المدرسة الحربية الأولى لتعليم أولاد المماليك وعلمائهم في القلعة، وكانت اللغة الإيطالية هي التي تدرس في هذه المدرسة. وفي عام ١٨٠٩م إلى ١٨١٦م كان محمد علي يرسل البعثات إلى إيطاليا وفرنسا للتبحر في تعلم اللغات الإيطالية- الفرنسية- التركية للتمكن من ترجمة الكتب الأجنبية المطلوب ترجمتها، حتى ومن الحصول على ترجمات أمتن لغةً وأسلم تعبيراً. لم يتوان محمد علي من إلحاق بعثات من شيوخ الأزهر بالمترجمين لمساعدتهم على ضبط اللغة ووضع المصطلحات المناسبة. وصارت مشاركة الشيوخ في عملية النقل تقليداً خضع له جميع المترجمين، ولم يُعفى منه سوى خريجي الأزهر من أعضاء البعثات والخريجين. (سالم العيس، المرجع نفسه، ص 33)

ففي مصر، أقام محمد علي المدرسة الحربية سنة 1828، والمدرسة الطبية (1827) ومدرسة الطب البيطري (1828) ومدرسة الصيدلة (1830) ومدرسة الولادة (1832). أما أهم المدارس بالنسبة للترجمة فكانت "مدرسة الألسن" باقتراح من رفاة الطهطاوي، الذي سافر في بعثة علمية إلى فرنسا سنة 1826 كإمام للبعثة ثم أصبح طالب علم.

واختصت مدرسة الألسن في الترجمة وتكوين المترجمين، وتخرج منها أول فريق سنة 1841 أي السنة التي عرفت نشأة غرفة الترجمة التي كانت تشمل أربعة أقسام هي:

- قلم ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم الرياضية.
- قلم ترجمة الكتب المتعلقة بالعلوم الطبيعية.
- قلم ترجمة الكتب المتعلقة بالمواد الاجتماعية أو الأدبيات.
- قلم الترجمة التركية.

فأوفد محمد علي البعثات إلى الغرب فكانت الأولى إلى إيطاليا عام (1809) للاطلاع واقتناء الكتب، ووفّر محمد علي مبالغ هامة لهذا الغرض. كما استجلب 6000 كتابا

فرنسيا سنة (1818)، وبلغ عدد البعثات بين (1809 و 1848) سبع بعثات غلب عليها الطابع العسكري. (علي تابليت، المرجع السابق، ص 36-37) وكان محمد علي يرمي إلى غرضين من إرساله البعثات المختلفة إلى أوروبا: الغرض الأول: أن يكون في مصر جيل من الأساتذة والعلماء تلقوا العلم الأوروبي في أوروبا وبلغاتها ليحلوا بعد عودتهم محل الأساتذة والأطباء والمهندسين والضباط والصُّنَّاع من الأجانب، ونجح محمد علي في ذلك إلى حد كبير. أما الغرض الثاني: أن يكون أعضاء هذه البعثات أداة صالحة لنقل علوم الغرب وفنونه وترجمتها إلى اللغة العربية. " (علي تابليت، المرجع نفسه، ص 40)

### مدرسة الألسن:

أنشئت مدرسة الألسن بداية 1835 باسم مدرسة الترجمة ثم تغيّر اسمها فأصبح " مدرسة الألسن " وكان مقرها السراي المعروفة ببيت الدفتر - دار يحيى الأزبكية. وقد أنشئت هذه المدرسة تحقيقا لاقتراح تقدم به رفاة الطهطاوي لمحمد علي، وكانت مدة الدراسة فيها خمس سنوات في البداية ثم أصبحت ست سنوات. أما لغات التدريس فكانت العربية والتركية والفارسية والفرنسية ثم أضيف إليها فيما بعد الحساب والجغرافيا والتاريخ، غير أن العناية كانت للغتين العربية والفرنسية ثم الإنجليزية لفترة قصيرة. وكان مديرها زعيم النهضة العلمية في عهد محمد علي العالم رفاة الطهطاوي، واتسعت مدرسة الألسن ابتداء من سنة 1941 لتنضم إليها مدارس أخرى. وقد عمّرت مدرسة الألسن قرابة الخمسة عشر سنة، وبعد تولي عباس الأول العرش سعى سعيه للقضاء على هذه المدرسة بسبب الخلافات الشخصية، وتوقفت نهائيا في نوفمبر 1849، ممّا جعل الطهطاوي يسافر إلى الخرطوم للتدريس. (علي تابليت، المرجع نفسه، ص 39-40)

### 2.2.4- في سورية:

جاءت كلية الطب في دمشق التي تأسست في عام 1919م، لتخلف الومضات التي انبثقت على المستوى الجامعي في القصر العيني وفي الكلية الأميركية ببيروت حينذاك، فبدأت التدريس بالعربية منذ افتتاحها واستمرت بنشاط حتى اليوم، بعد أن تبعتها بقية الكليات العلمية باطراد ولاسيما كلية الحقوق. ولقد قامت كلية الطب بدمشق قبل

الانتداب وبأمر من الملك فيصل الأول على أنقاض كلية الطب التركية بدمشق المنشئة بأمر سلطاني تركي عام - ١٩٠١ والتزم أساتذتها منذ افتتاحها، بالتدريس بالعربية وبالترجمة والتأليف لرفدها وخاصة لإيجاد المصطلحات الطبية الملائمة، ويمكن القول بأنهم وفوا بالعهد ووضعوا مؤلفات قيمة بالعربية في مختلف الفروع العلمية.

لقد ركز هؤلاء العلماء ببحثهم على إيجاد المصطلحات العلمية القديمة والحديثة لمواكبة التطور العلمي وإغناء اللغة العربية بالمفردات المعبرة حق التعبير. فبالنسبة للقديم استنبطت المصطلحات من الكتب الطبية القديمة مثل قانون بن سينا- وكامل الصناعة- ومفردات ابن البيطار- وتذكرة ابن داود، وغيره، وبالنسبة للكتب الطبية الحديثة، فقد رجعوا إلى الكتب التي وضعت من قبل سواء في مصر أو لبنان أو في الدولة العثمانية، فأصدروا وترجموا الكتب العديدة، وجعلوا في نهاية كل كتاب جدولاً لمصطلحاته باللغة الأجنبية والعربية.

وقد اشتهر منهم الدكتور- حسني سبوح- ومرشد خاطر- وأحمد حمدي الخياط- ومحمد صلاح الدين الكواكي- وميشيل الخوري-، وقام كل من مرشد خاطر والخياط والكواكي بإصدار النسخة العربية لمعجم (كلارفيل) الطبي المتعدد اللغات الذي طبع بالفرنسية والعربية عام ١٩٥٥ وبعد الانطلاقة الأولى لكلية الطب في أعمال الترجمة والنقل تتابعت دون هوادة حركة الترجمة في سائر الكليات والمؤسسات العلمية للدولة والخاصة فأغنت خزانة المكتبة العربية بالكتب الكثيرة المتنوعة مما أتاح للمواطنين وطلاب المدارس والجامعات الاتصال ومواكبة تطور العلم والمعرفة، خاصة بعد أن زحرت بطون هذه الكتب بالمصطلحات والمفردات المبتوثة أو المبتكرة أو المشتقة أو المعربة أو الحديثة.

ولابد من ذكر هذه الكليات التي تتابعت بنجاح في تدريس اختصاصاتها العلمية باللغة العربية، مثل: كليات الطب الأخرى- كلية طب الأسنان- كلية الصيدلة- كلية البيطرة- مدارس التمريض- وكليات الهندسة بأنواعها: المدنية والمعمارية والميكانيكية والكهربائية والنفطية والزراعية. وكليات العلوم بأقسامها: الرياضيات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والنبات والحيوان بالإضافة إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم السكان والاقتصاد والحقوق والتجارة والمحاسبة التي تدرس في كليات الآداب والحقوق والاقتصاد والتجارة. هذا بالإضافة إلى المعاهد الفنية أو الحرفية العديدة.

(سالم العيس، المرجع السابق، ص 42)

### 3.2.4- في لبنان:

فيما كانت مصر تنعم بالاستقرار السياسي والنشاط العلمي، وكان لبنان في ظل حكم الأمير بشير الثاني، الذي امتد من عام 1789م-1840م- يترنح بسبب الفتن والاضطرابات، وكان هذا الأمير في صراع مستمر مع مناوئيه في الداخل والولاية العثمانيين في الأطراف، وفي ظل ذلك الاضطراب لم يكن للحركة الثقافية أن تنشأ أو تزدهر، حيث لا بد لازدهار الثقافة من الاستقرار السياسي والأمني، وهذا لم يكن متوفراً في ذلك الوقت. غير أنه في غمرة ذلك الاضطراب كانت الإرساليات الأجنبية في لبنان ساعية في إنشاء المدارس، وقد أحدث وصول المرسلين الأميركيين البروتستانت (إلى لبنان ومباشرتهم بتأسيس المدارس والدعوة لمذهبهم هزة لدى الإرساليات الكاثوليكية، واحتدمت المنافسة بين الجهتين وتميزت بطابعها العملي وبتوخي الغلبة في مجال العلم من جهة وإثبات الطرق العلمية الخاصة بكل منهما. إن أول مدرسة أقامها الأميركيون كانت في بيروت عام 1835م، وبعد خمس سنوات تنبهوا إلى ضرورة فتح مدارس إرسالية في الجبل، فأسسوا في قرية عبيّة وسوق الغرب وأخيراً في بيروت. وبالمثل أقام اليسوعيون، بعد عودتهم إلى لبنان عام 1831م، المدارس والأديرة في عين تراز وبكفيا وزحلة وبيروت وغيرها. غير أن الحوادث الطائفية عام 1860م أدت إلى هجرة الكثيرين إلى الخارج وخاصة إلى مصر وأميركا وإلى الساحل وبيروت.

كما أن الترجمة وإن ركبت خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر بسبب الاضطرابات فإنها شهدت تحولاً كبيراً خلال النصف الثاني منه، سواء في الإنتاج العلمي أو النقل، وكان العامل الفاعل لهذا التحول هو: انتشار المدارس والصحف والمجلات، التي اعتمدت على الترجمة فتعاضد دور الترجمة في إصدار الصحف والمجلات خاصة لنقل الأخبار السياسية والحوادث والنزاعات المستقاة من جرائد الغرب أو من المحيط. فأصبحت هذه الجرائد والمجلات أكثر صلة بمجلات الغرب، فنقلت الكتب والمقالات الأدبية والطبية والفلكية والاجتماعية، وأخبار المخترعات والمكتشفات الآثرية والنوادر الطبيعية والقصص القصيرة والطويلة المتسلسلة. إنه ضيق رقعة لبنان وقلة عدد سكانه وضعف مواردهم وسياسة القهر الذي مارسها المستعمر العثماني حال دون إمكان استغلال هذه الانطلاقة



الواسعة في لبنان، فقد هاجرت منه الصفوة المثقفة إلى مصر وشاركت المصريين في بناء نهضتهم الثقافية والحضارية. (سالم العيس، المرجع نفسه، ص 43-44)

#### 4.2.4- في تونس:

أقام أحمد باشا المكتب الحربي بباردو سنة (1837) ثم تلتها مدرستين في العلوم الحديثة. كما نجد حمودة باشا قد أمر بترجمة الكتب التي يحتاجها لأجهزة الدولة، وكان حريصاً على معرفة النظم الدستورية الفرنسية. فقد ترجم الدستور الفرنسي سنة (1794) كما حرص سنة 1812 قبل سنتين من وفاته على دراسة ومناقشة "قانون نابليون". ويرجع الفضل في إصلاح التعليم في تونس إلى خير الدين الذي لم يترك أي باب يدقه لتطوير مناهج وأساليب التعليم بعد قراءات طويلة لطرق التعليم في أوروبا. " (علي تابلت، المرجع السابق، ص 37)